الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية الآداب واللغات **قسم اللغة والأدب العربي**

محاضـــــــرات في مقياس

اللغة العربية والقرآن الكريم

مطبوعة بيداغوجية موجهة إلى

طلبة السنة الأولى ماستر تخصص: لسانيات عامة

من إعـــــــــداد:

د. أمينـــــة تجـــــاني

السنة الجامعية: 2023/2022

مقدمـــــــــــــــة

تحتوي هذه المطبوعة البيداغوجية على محاضرات في مقياس: اللغة العربية والقرآن الكريم، المبرمجة للطلبة عن بعد خلال السنة الجامعية 2023/2022، وهي موجّهةٌ إلى طلبة السّنة الأولى ماستر تخصص لسانيات عامة بقسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي.

وقد حاولنا فيها المحافظة على روح البرنامج المقرّر من الجهات الوصيّة، وذلك بعرض أهم مفردات المقياس التي توزّعت على أربع عشرة محاضرة؛ وقد جاء تفصيلها على الوجه الآتي:

1	اللغة التي نزل بها القرآن الكريم	تحتوي على عنصرين؛ تعريف القرآن لغة واصطلاحا، اللغة التي نزل بها القرآن
2	لغات القرآن	تحتوي ثلاثة عناصر؛ الفرق بين اللغة واللهجة، اللغات التي نزل بها القرآن، أمثلة عن لغات القبائل في القرآن الكريم (المستوى الصوتي والنحوي والدلالي)
3	غريب القرآن	تحتوي ثلاثة عناصر: تعريف غريب القرآن، تناول العلماء لغريب القرآن، كتبه
4	إعراب القرآن: أصوله	تحتوي ثلاثة عناصر: تعريف الإعراب، علم إعراب القرآن، نشأة علم إعراب القرآن وتطوره.
5	إعراب القرآن: كتبه	تحتوي ثلاثة عناصر: بين كتب معاني القرآن وإعراب القرآن، كتب إعراب القرآن، منهج إعراب القرآن
6	تعليل المتشابه اللفظي	تحتوي ثلاثة عناصر: تعريف المحكم، تعريف المتشابه، أقسام المتشابه
7	إعجاز القرآن: عند الباقلاني	تحتوي ثلاثة عناصر: تعريف الإعجاز، الإعجاز القرآني، التعريف بالباقلاني، التعريف بكتابه (إعجاز القرآن)، وجوه الإعجاز عند الباقلاني.
8	إعجاز القرآن: عند الجرجاني	تحتوي عنصرين: التعريف بالجرجاني، وجوه الإعجاز عند الجرجاني.
9	التفسير اللغوي: أصوله	تحتوي عنصرين: تعريفه، نشأته وتطوره
10	التفسير اللغوي: كتبه	تحتوي ثلاثة عناصر: كتب غريب القرآن، كتب معاني القرآن، كتب التفسير اللغوي للقرآن.
11	علم القراءات وتوجيهها اللغوي	تحتوي ثلاثة عناصر: تعريف القراءات القرآنية، علم القراءات، أمثلة عن اختلاف القراءات.
12	علم المناسبات	تحتوي ثلاثة عناصر: تعريف المناسبة، علم المناسبات، دراسات حول تناسب السور القرآنية.
13	أمثال القرآن	تحتوي ثلاثة عناصر: تعريف المثل والمثل القرآني، أنواع المثل القرآني، أمثلة عن الأمثال في القرآن.

أما عن المراجع فقد كان اعتمادنا بالدرجة الأولى على:

الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، البرهان في علوم القرآن للزركشي، الأمثال في القرآن لابن القيم، دلائل الإعجاز للجرجاني، غريب القرآن للسجستاني. بالإضافة إلى قائمة متنوّعة، منها التّراثي ومنها المعاصر، وسنأتي على ذكرها في قائمة المصادر والمراجع في آخر هذه المطبوعة، على أنّنا حاولنا تبسيط المعلومات المأخوذة من أمّهات الكتب وفقا لما تقتضيه الغاية التّعليمية، إذ يندرج هذا المقياس ضمن: وحدة التّدريس الاستكشافية، بمعامل: 01، ورصيد: 01، وهو ما يجعلنا لا نتعّمق كثيرا في المسائل خوفا من تعقيد المعارف، وتنفير الطلبة من المقياس.

المحاضرة الافتتاحية

حظي القرآن الكريم باهتمام المسلمين قديما وحديثا؛ في كل زمان ومكان، فمنذ نزوله تقبّلته النفوس، وعقلته القلوب، وعُنِيَ به الخاصّة والعامّة، وكان له الفضل في قيام علوم لم تعرفها العرب من قبل، وما كان لتلك العلوم أن تظهر لولاه، وبلفظ آخر: لقد كان كتاب الله العزيز سببا في ظهور علوم كثيرة.

فالنحو وما يتبعه من قوانين لغوية إنما قام لتيسير قراءة القرآن دون لحن، ولم يخرج عن دائرة القرآن إلا بعد أن حقّق هدفه الأول في حفظ النّص القرآني من التحريف والتصحيف.

وعلم التفسير، بطرقه المتنوعة وأشكاله المختلفة، لم يظهر إلا لتسهيل فهم القرآن، ومعرفة أحكامه وإدراك مرامِه، واكتشاف أسراره.

وعلم البلاغة اهتم بدراسة بيانه وبديعه.

وعلم اللغة اهتم بتتبع ألفاظه ودراسة غريبه ومتشابهه ومشكله.

ثمّ جاء من بعد ذلك من اهتم بدراسة رسمه وإحصاء مصاحفه المعروفة عند الصحابة والتابعين، ودراسة ناسخه ومنسوخه، وأسباب النزول، وتتبع السّور المدنية منه والمكية، ناهيك عن تفسيره والبحث عن أسراره وحكمه، وفضائل سوره وآياته.

والذي يهمنا هنا هو علوم اللغة وعلاقتها بالقرآن الكريم، فقد اتضح لنا أنها انبثقت منه، وأنّه هو المرجع الرّئيس للغة العربية، وبفضله أصبحت لغة رسمية عالميّة؛ إذ جعلها لغة المسلمين جميعا؛ يتلونه بها ويرتلونه قراءة وحفظاً بلسانها أينما كانوا، ويتدبّرون آياته تفقّها وتفسيراً، ويردّدونها في نصوصهم الأدبية ومحافلهم الثقافية والاجتماعية اقتباساً وتضميناً، ويلهجون بها طلباً للثواب وإعجابًا بها وتذوقًا لحلاوتها.

فهي –اللغة العربية– لسان القرآن الكريم وتتميّز بكونها أغنى اللغات كَلِمًا، وأعذبها منطقًا، وأسلسها أسلوبًا، وأغزرها مادة، ولها من عوامل النمو ودواعي البقاء والرقي ما قلما يتهيأ لغيرها، وذلك لما فيها من اختلاف طرق الوضع والدلالة، وغلبة اطّراد التصريف والاشتقاق، وتنوع المجاز والكناية وتعدد المترادفات، إلى النحت والقلب والإبدال والتعريب وغيرها.

ولقد شهد بعظمتها كثير من المنصفين الأجانب، منهم (إرنست رينان) الذي يقول في كتابه (تاريخ اللغات السامية): "من أغرب المدهشات أن تثبت تلك اللغة القوية وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري، عند أمة من الرحل تلك اللغة التي فاقت إخوتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها، وكانت هذه اللغة مجهولة عند الأمم، ومن يوم أن علمت ظهرت لنا في حلل الكمال إلى درجة أنها لم تتغير أي تغير يذكر، حتى إنها لم يعرف لها في كل أطوار حياتها لا طفولة ولا شيخوخة".

المحاضـــــــرة الأولـــــــــى

اللغة التي نزل بها القرآن الكريم

عناصر المحاضرة:

تعريف القرآن: لغة اصطلاحا

اللغة التي نزل بها القرآن: لغة قريش، لغة العرب، مسألة الألفاظ غير العربية في القرآن الكريم.

1- تعريف القرآن:

أ- **لغة:** لم يرد أي تعريف للقرآن في معجم العين للخليل بن أحمد إلّا ما كان من هذه الإشارة، في كتاب القاف، باب: ق ر (اويء) معهما: "قَرَءَ وقَرَأْتُ القرآن عن ظهر قلب أو نظرت فيه، هكذا يقال ولا يقال: قرأتُ إلا ما نظرت فيه من شعر أو حديث. وقَرَأَ فلان قِّراءة حسنة، فالقرآن مقروءٌ، وأنا قارئٌ. ورجل قارئٌ عابد ناسك، وفعله التّقرّي والقِراءة"[1].

اختلف العلماء في لفظ القرآن لكّنهم اتّفقوا على أّنه اسم وليس بفعل ولا حرف، فذهب جماعة من العلماء منهم الشافعي إلى أنه اسم جامد غير مهموز وبه قرأ ابن كثير وهو اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل. وذهبت طائفة إلى أن هذا الاسم مشتق، ثم افترقوا إلى فرقتين:

الأولى: قالت: إن النون أصلية وعلى هذا يكون الاسم مشتقا من مادة (ق ر ن) ثم اختلفوا:

- فقالت طائفة منهم **الأشعري**[2]: إنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه، ومنه قولهم: قرن بين البعيرين إذا جمع بينهما، ومنه سمي الجمع بين الحج والعمرة في إحرام واحد قران.
- وقالت طائفة منهم **الفراء**[3]: إنه مشتق من القرائن جمع قرينة لأن آياته يشبه بعضها بعضا.

الثانية: قالت: إن الهمزة أصلية ثم افترقوا أيضا إلى فرقتين:

- فقالت طائفة منهم **اللحياني**[4]: إن القرآن مصدر مهموز بوزن الغفران مشتقّ من قرأ بمعنى تلا، سمّي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر ومنه قوله تعالى: ﴿**إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه**﴾[5] أي قراءته.

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، معجم العين، كتاب القاف، باب: ق ر (اويء) معهما.

[2] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 278.

[3] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1 ص87.

[4] المرجع نفسه، ج1، ص87.

[5] سورة القيامة، الآيتان 17، 18.

❖ وقالت طائفة منهم **الزجاج**[1]: إنه وصف على وزن فعلان مشتق من القَرْء بمعنى الجمع ومنه: قرأ الماء في الحوض إذا جمعه، قال ابن الأثير: "وسمي القرآن قرآنًا لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران"[2].

ب- اصطلاحا:

للعلماء في تعريف القرآن الكريم صيغ متعددة بعضها طويل ولعل أقربها تعريفهم للقرآن بأنه: "كلام الله تعالى المنزل على محمد ﷺ المتعبد بتلاوته"[3].

فالقرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على نبيّه محمد -عليه الصلاة والسلام- وحياً بواسطة جبريل عليه السلام، المحفوظ في الصدور، والمكتوب في المصاحف، والمنقول عن رسول الله ﷺ بالتواتر، والمصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي، ينقسم إلى ثلاثين جزءاً، وعدد سوره 114 سورة.

2- نزول القرآن الكريم:

يقول تعالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾[4]. ويقول أيضا: ﴿**إِنّا أَنْزَلْناهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُم تَعْقِلون**﴾[5]. ويقول أيضا: ﴿**بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبين**﴾[6]. ويقول أيضا: ﴿**قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذي عِوَجٍ**﴾[7].

انطلاقا من الآيات الكريمات يتّضح أنّ القرآن الكريم قد نزل بلغة العرب؛ اللغة العربية، ولكن ما المقصود بلغة العرب يا ترى؟ لغة قريش أم لغة العرب قاطبة؟

وهذا الموضوع أثار جدلا بين الباحثين؛ إذ اختلفت آراؤهم حول اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، وانقسموا إلى قسمين؛ قسم يرى أنه نزل بلغة قريش، وآخر يرفض ذلك.

فأكثر القائلين بالرأي الأول هم القدماء مع قِلّة من المعاصرين المؤيّدين لهم باعتبار قريش مهد الرسول ﷺ وموطنه، ومنها استقى لغته وفصاحته، وفيها تلقّى الوحي. وهذا لا يعني أنّ الأقدمين كلهم كانوا من أنصار الرّأي الأول، بل هناك من رفضه منهم ولكنهم قلّة في هذا المجال.

وأما أصحاب الرّأي الثّاني المعارضين لهاته الفكرة فأغلبهم من المعاصرين الذين انتهجوا طريق عدد من المستشرقين.

---

[1] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص278.

[2] ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج4، ص30.

[3] ينظر: فهد الرومي، دراسات في علوم القرآن الكريم.

[4] سورة الزخرف، الآية 03.

[5] سورة يوسف، الآية 02.

[6] سورة الشعراء، الآية 195.

[7] سورة الزمر، الآية 28.

أ- الرأي الأول:

يرى أصحاب هذا الرّأي أنّ القرآن الكريم نزل بلغة قريش، وأدلّتهم في ذلك:

قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾[1]. والرسول ﷺ من مكة، ومكة موطن قريش، فلابد من نزول كتاب الله بلسانهم على اعتبارهم قوم الرسول الكريم ﷺ، وليكون القرآن حجة عليهم وإعجازاً لفصحائهم، فعلى هذا تكون لغة القرآن لغة قريش[2].

لهجة قريش أفصح لهجات الجزيرة العربية؛ إذ يرى شوقي ضيف أنّ "اللهجة الفصحى إنّما هي لهجة قريش التي نزل بها الذكر الحكيم"[3]. كما يذكر أيضا أنّ أحمد بن فارس نقل عن إسماعيل بن عبيد الله أنّ "قريشاً أفصح العرب ألسنةً وأصفاهم لغةً... إذا أتتهم الوفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم ... فصاروا بذلك أفصح العرب"[4].

لغة قريش أفضل لغات العرب، حيث جاء في لسان العرب (مادة عرب): "وقال قتادة: كانت قريش تجتبي، أي تختار، أفضلَ لغات العرب، حتى صار أفضلَ لغاتِها لغَتُها، فنزل القرآن بها"[5].

كون قريش مركزا ثقافيّا مهمّا تقام فيه الندوات الشعرية والنقدية ويستقطب الشعراء والأدباء من كل القبائل ليتباروا ويتنافسوا، فيعلو قدر المغمورين ويسمو ذكر الخاملين، وكان من بينهم نقّاد يحتكمون، منهم: النابغة والخنساء. وكانت سوق عكاظ أهم سوق في الجزيرة العربية على الإطلاق "تحضرها قبائل العرب كلّها لأنها متوجّههم إلى الحج الأكبر"[6].

الدور الذي لعبته الأسواق الأدبية في صقل لغة قريش وتهذيبها وانتشارها بين القبائل، "فهذه المجامع، مما لها من صبغة أدبية على حالتيها الدينية والتجارية، مشت محمودة الخطى إلى توحيد لسان عدنان، فصار الشعراء والخطباء يختارون الألفاظ التي يألفها القبائل على اختلاف لهجاتهم، ويهملون مستقبح الكلمات والانحرافات، فنشأت عن ذلك لغة أدبية مهذبة عرفت بلغة قريش"[7].

---

[1] سورة إبراهيم، الآية 04.

[2] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص05، 06.

[3] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي "العصر الجاهلي"، ص132.

[4] المرجع نفسه، ص132. ينظر أيضا: السيوطي، المزهر، ج1، ص210.

[5] ابن منظور، لسان العرب.

[6] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج1، ص78.

[7] بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص33،32.

لهجة قريش هي اللغة النواة التي كوّنت اللغة المشتركة – العربية الفصحى– إذ يقول رمضان عبد التواب: "يمكن القول بأنّ لهجة قريش أسهمت في تكوين العربية الفصحى بعناصر كثيرة. فلا مبالغة إذن في إطلاق عبارة لغة قريش على اللغة العربية الفصحى"[1].

ب– الرأي الثاني:

يرى أصحاب الرأي الثاني أن القرآن الكريم لم ينزل بلغة قريش وإنما باللغة العربية الفصحى أو لغة العرب قاطبة أو اللغة المشتركة التي تكونت في المجامع الأدبية وأصبحت تتناقلها الألسن من خلال الشعر، وحجتهم في ذلك:

لا يوجد دليل على نزول القرآن بلغة قريش، حيث يذهب الباقلاني إلى أنّ "معنى قول عثمان: إنه نزل بلسان قريش، أي معظمه، ولم يقم دليل على أنّ جميعه بلغة قريش، قال الله تعالى: ﴿قرآناً عربياً﴾، ولم يقل قرشياً، قال: واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولاً واحداً يعني حجازها ويمنها"[2].

نزوله على سبعة أحرف أي سبع لهجات، وفي ذلك يقول أبو حاتم السجستاني: إنّه نزل بلغة قريش وهذيل وتميم، والأزد، وربيعة، وهوازن، وسعد بن بكر. وذكر بعض آخر؛ أنه نزل بلغة قريش، وهذيل، وثقيف، هوازن، وكنانة، وتميم، واليمن، وسعد بن بكر، هم من عليا هوازن. معنى هذا أنه نزل بلغات عدنانية ولغات قحطانية، أي بجميع ألسن العرب[3].

عربيا نسبة للعرب كافة، قال الأزهري في تهذيب اللغة: "وجعل الله –عز وجل– القرآن المنزل على النبي المرسل محمد ﷺ عربياً، لأنه نسبه إلى العرب الذين أنزله بلسانهم، وهم النبي والمهاجرون والأنصار الذين صيغة لسانهم لغة العرب، في بادِيَتِها وقُراها العربية، وجعل النبي ﷺ عربياً لأنه من صريح العرب"[4]. وقال الطبري في كتابه (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) في تفسير قوله تعالى ﴿إنّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾: "يقول تعالى ذكره: إنّا أنزلنا هذا الكتاب المبين قرآناً عربياً على العرب، لأن لسانهم وكلامهم عربي، فأنزلنا هذا الكتاب بلسانهم ليعقلوه ويفقهوا منه، وذلك قوله عزّ وجل: ﴿لعلكم تعقلون﴾"[5].

لغة قريش اقتصرت على الحجاز فقط وما كانت لتتعداها لولا الإسلام، إذ يقلل طه حسين من أهمية سيادة اللهجة القريشية. بقوله متسائلاً: "أسادت لغة قريش ولهجتها في البلاد العربية، وأخضعت العرب لسلطانها في

---

[1] رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية، ص84.

[2] جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص604.

[3] جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص600.

[4] أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، معجم تهذيب اللغة، ص361، 362.

[5] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، ج15، ص551.

الشعر والنثر قبل الإسلام أم بعده؟ أما نحن فنتوسط ونقول: إنّها سادت قُبيل الإسلام حين عظم شأن قريش وحين أخذت مكة تستحيل إلى وحدة سياسية مستقلة مقاومة للسياسة الأجنبية التي كانت تتسلط على أطراف البلاد العربية. ولكن سيادة لغة قريش قبيل الإسلام لم تكن شيئاً يُذكر ولم تكن تتجاوز الحجاز. فلمّا جاء الإسلام عمّت هذه السيادة وسار سلطان اللغة واللهجة مع السلطان الديني والسياسي جنباً لجنب"[1].

وجود ألفاظ في القرآن الكريم لم تعرفها قريش في لسانها؛ إذ يقول السيوطي: "وَقَعَ في القرآن الكريم ألفاظ بغير لغة الحجازيين". وبعد أن يذكر عدداً من المفردات اليمنيّة والعُمانية، يُردف قائلاً: "كما وقع فيه ألفاظ بلغة همذان، وحمير، وقيس عيلان، وثقيف، وسواهم"[2].

كما أنّ فيه بعض الألفاظ القرآنية ذات الأصول غير العربية، وفي ذلك يقول السيوطي: "وقد أحصى بعض العلماء وصنّفوا في ألفاظ القرآن كتباً مستقلّه، وردّوا بعض الألفاظ إلى أصول فارسية ورومية ونبطية وحبشية وبربرية وسريانية وعبرانية وقبطية"[3]، فهل كانت قريش تعرف كلّ تلك المفردات وتستعملها في أحاديثها.

أنّ "اللسان العدناني هو الذي نستعمله اليوم في الكتابة، على ما لحقه من تحضّر وتبدّل، وبه جاء الأدب الجاهلي ... وكان اللسان العدناني متعدّد اللهجات بتعدّد القبائل التي تنطق به، ولكنه لم يختلف في أحكام التركيب والتصريف والاشتقاق، بل اقتصر في تغاير لهجاته على طائفة من الأوضاع تخالفت القبائل في استعمالها، وعلى انحرافات لفظية من قلب وإبدال وزيادات[4]".

استحالة كون اللغة الفصحى هي لهجة قريش –حسب رأي علي جواد– لقوله: "لو أخذنا برأي أهل الأخبار، وبما ذكروه عن فصاحة تميم وعن كثرة وجود الخطباء والشعراء فيهم، وعن حكومتهم في (عكاظ)، وبما ذكروه عن قريش فإننا نخرج بنتيجة هي أنّ تميمًا، كانت أكثر شهرة في بضاعة الكلام من قريش، وهي نتيجة تُناقِض زَعْمَهم أن قريشاً كانت أصفى العرب لغة، وأن لسانها هو اللسان العربي الفصيح الذي نزل به القرآن، وأنّها كانت تجتبي أحسن الألفاظ وأعذبها من بين سائر لغات العرب حتى صار لسانها أفصح الألسنة، ذلك بدليل استشهاد علماء اللغة بلغة تميم من نثر وشعر في شواهدهم وأدلتهم على قواعد اللغة، كثرة لا تقاس بها الشواهد التي استشهد بها العلماء على ضبط اللغة والقواعد، المنتزعة من لسان قريش"[5].

---

[1] طه حسين، في الشعر الجاهلي، ص49، 50.

[2] صلاح الدين أرقه دان، مختصر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ص40، 41.

[3] المرجع نفسه، ص39.

[4] بطرس البستاني، أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، ص32.

[5] جواد علي، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ص587.

كما أنّ حكومة سوق عكاظ المشهورة أدبياً لم تكن بيد قريش، بل كانت لذبيان، وحتى الحكومة السياسية في عكاظ لم تكن لقريش، بل كانت لتميم. حيث ذكر الرافعي أنّ "هذه السوق (عُكاظ) تقوم في ذي القعدة، فمن كان له أسير يسعى في فدائه ومن كانت له حكومة، ارتفع إلى الذي يقوم بأمر الحكومة، وهم ناس من بني تميم كان آخرهم الأقرع بن حابس"[1].

وفي الأخير يمكن أن نخلص إلى أنّ:

القرآن الكريم نزل بلغة العرب، ولم ينزل لقريش وحدها، وإن كانوا هم أوّل المخاطبين به، وهو عندما يتحدث عن اللسان واللغة لا يذكر قريشاً ولا غيرها من القبائل لا تلميحاً ولا تصريحاً، بل ينص على أنّه نزل بلسان عربي مبين، وقد ذكر الدكتور عمر فروخ أنّ كلمة مبين التي تدلّ على الوضوح العام، جاءت صفة للسان أو اللغة العربية وللقرآن وللرسول اثنتي عشرة مرّة في القرآن الكريم.

مسألة وجود ألفاظ غير عربية في القرآن:

بيّن الزركشي أن أهل العلم أجمعوا على أنه ليس في القرآن الكريم كلامٌ مركّبٌ على غير أساليب العرب، وإنما يحتوي على أسماء أعلام غير عربية؛ كإسرائيل، ونوح، ولوط، وجبرائيل، وقد اختلف أهل العلم في احتواء القرآن الكريم على غير الأعلام المفردة من غير كلام العرب إلى فريقين:

فريقٌ من أهل العلم ذهب إلى أن القرآن الكريم لا يحتوي على غير الأسماء المفردة من غير لغة العرب، واحتجّوا على رأيهم بقول الله تعالى: ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ**﴾. وأكّد الإمام الشافعي على أنه ليس من القرآن الكريم شيءٌ إلا بلسان العرب.

فريقٌ ثانٍ ذهب إلى أن القرآن الكريم يحتوي على بعض الألفاظ غير العربية، واحتجّوا بأن كلمة الإستبرق فارسية، وكلمة مشكاة هندية.

ورجّح ابن قدامة إمكانية الجمع بين القولين بأن تكون أصل الكلمات غير عربية وعرّبها العرب واستعملوها.

[1] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج1، ص78.

المحاضـــــرة الثانيـــــة

لغـــات القـــرآن الكريـــم

عناصر المحاضرة

أولا– تعريف اللغة واللهجة، ثانيا– اللغات التي نزل بها القرآن الكريم

1– بين اللغة واللهجة:

في المحاضرة السابقة توصّلنا إلى أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب؛ اللغة المشتركة أو اللغة العربية الفصحى، وإن كان هذا المصطلح –اللهجة– لم يكن معروفا قديما لأنّه ظهر مؤخّرا.

فإذا كان القرآن الكريم قد نزل باللغة العربية الفصحى – لغة واحدة– فما المقصود بلغاته؛ اللغة أم اللهجة؟

من المعلوم أنّ العرب قديماً كانوا يُسمّون اللهجة لغةً، ولم تُستعمل كلمة لهجة بمعناها الاصطلاحي إلا مؤخّراً، فقد كان العرب يقولون لغة القبيلة بدلاً من لهجة القبيلة، كقولهم لغة تميم، أو لغة قريش، وفي الحقيقة أن اللغة أشمل من اللهجة، لأن اللغة غالباً ما تشمل عدّة لهجات. ولهذا تطرقنا للتفريق بين اللغة واللهجة.

أ– تعريف اللغة:

لغة: قال في لسان العرب (مادة لغا): "واللُّغة: اللَّسْنُ، وحدّها أنّها أَصوات يعبّر بها كلُّ قوم عن أَغراضهم، وهي فُعْلةٌ من لَغَوْتُ أَي تكلَّمتُ، أَصلها لُغْوَة ككُرةٍ وقُلَّةٍ وثُبَةٍ، كلُّها لاماتُها واواتٌ، وقيل: أَصلها لُغَيٌ أَو لُغَوٌ، والهاء عوض، وجمعها لُغًى مثل بُرة وبُرًى، وفي المحكم: الجمع لُغات ولُغونَ"[1].

اصطلاحا: اللغة أو اللسان هي "ظاهرة بسيكولوجية، اجتماعية، ثقافية مكتسبة، لا صفة بيولوجية ملازمة للفرد، تتألّف من مجموعة رموز صوتية لغوية – اكتَسَبَت عن طريق الاختبار– معانيَ مقرّرة في الذهن. وبهذا النظام الرمزي الصّوتي، تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل"[2].

ب– تعريف اللهجة:

لغة: جاء في لسان العرب: "لَهِجَ بالأَمرِ لَهَجاً، ولَهْوَجَ، وأَلْهَجَ كلاهما: أُولِعَ به واعْتادَهُ، وأَلْهَجَتْهُ به. ويقال: فلان مُلْهَجٌ بهذا الأَمْر أَي مولَعٌ به ... واللَّهْجَةُ واللَّهَجَةُ: طَرَفُ اللِّسان. واللَّهْجَةُ واللَّهَجَةُ: جَرَسُ الكلامِ، والفتح أَعلى. ويقال: فلان فصيحُ اللَّهْجَة واللَّهَجَةِ، وهي لغته التي جُبِلَ عليها فاعتادَها ونشأَ عليها. الجوهري: لَهِجَ بالكسر، به يَلْهَجُ لَهَجاً إِذا أُغْرِيَ به فَثابرَ عليه. واللَّهْجَةُ: اللسان، وقد يُحَرَّكُ"[3].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب.

[2] إيميل يعقوب وآخران، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، ط1، ص334. وينظر أيضا: أنيس فريحة، نظريات في اللغة، ط2، ص14.

[3] ابن منظور، لسان العرب.

اصطلاحا: اللهجة هي "طائفة من المميزات اللغوية ذات نظام صوتي خاص تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه المميزات جميع أفراد تلك البيئة"[1]. أو هي "مجموعة الصفات الصوتية التي تتصف بها منطقة من المناطق وكثيراً ما تتضمّن اللغة العامية الواحدة عدّة لهجات متباينة"[2].

والفرق بينهما هو أنّ اللهجة "أسلوب أداء الكلمة إلى السّامع، من مثل إمالة الفتحة والألف أو تفخيمها، ومثل تسهيل الهمزة أو تحقيقها، فهي محصورة في جرس الألفاظ، وصوت الكلمات وكل ما يتعلق بالأصوات وطبيعتها، وكيفية أدائها"[3]. فاللهجة تظهر في النطق والقراءة، ولهذا اختلفت القراءات القرآنيّة تبعا لاختلاف اللهجات العربية.

أما اللغة "فيراد بها الألفاظ التي تدل على المعاني؛ من أسماء وأفعال وحروف. ويراد بها النّحو؛ وهو طريق تأليف الكلمات وإعرابها للمقصود على الدّلالة، وكذا يراد بها كلّ ما يتعلّق باشتقاق الكلمات وتوليدها، وبنية الكلمات ونسجها. غير أن اللهجة قد تتميّز بقليل من الخصائص التي ترجع إلى بنية الكلمات ونسجها، أو معاني بعض الكلمات ودلالتها"[4]. فاللغة أشمل من اللهجة، وهي تضم كل اللهجات.

وعليه فإن المقصود بلغات القرآن الكريم –حسب وجهة نظرنا– اللهجات العربية التي نزل بها وقُرِأ بها، وقد نزل بعضه بلهجة قريش، وبعضه بلهجة أسد وهذيل، وبعضه بلهجة كنانة، وبلهجة تميم، وقيس عيلان، وبعضه بلهجة أهل اليمن. وللعلماء آراء مختلفة في هذه المسألة.

2– اللغات التي نزل بها القرآن الكريم:

شغلت هذه القضيّة العلماء قديما، حيث كانت محلّ اختلاف وجدل بينهم، وانقسموا إلى فريقين:

أ– الفريق الأول:

فريق قائل بأنه نزل بلغة قريش وحدها مستدلا بقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**﴾ (سورة إبراهيم،04)"[5].

ب– الفريق الثاني:

فريق قائل بأنّه نزل بسبع لغات لسبع قبائل من العرب، فبعضه نزل بلغة قريش، وبعضه نزل بلغة قبائل أخرى، وقد استدلّ أصحاب هذا الرّأي بـ:

---

[1] غالب فاضل المطلبي، لهجة تميم وأثرها في العربية الموحّدة، ص30.

[2] إيميل يعقوب وآخران، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية، ص334.

[3] القراءات واللهجات، عبد الوهاب حمودة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1948، ص05.

[4] المرجع نفسه، ص05.

[5] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1957م، ج1، ص217.

- ✓ قول رسول الله: "إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسّر منه"[1]. قال أبو عبيد: "ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات، بل اللغات السبع مفرّقة فيه، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن وغيرهم. وقال: وبعض اللغات أسعد من بعض وأكثر نصيبا"[2].
- ✓ عدم معرفة بعض الصحابة –رضي الله عنهم– لبعض ألفاظ القرآن الكريم إلا من بعض الأعراب، فقد قيل بأن كلمة فاطر التي وردت في قول الله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ لم يكن معناها محدّداً إلى أن سُمع أعرابي يقول في بئرٍ مُختلف فيه: "بئري أنا فطرتها"، وكان يقصد أنه من صنعها وحفرها، ومن هذا الكلام عُرف معنى فاطر في الآية الكريمة، أي صانع السماوات والأرض وخالقها.
- ✓ قراءة رسول الله ﷺ للقرآن الكريم بلهجات القبائل المختلفة، تسهيلاً لأهل تلك القبائل وتيسيراً لهم في التلاوة حتى إن بعض الصحابة كان يقرأ السورة بلهجةٍ سمعها من رسول الله ﷺ، بينما يقرأ غيره نفس السورة بلهجةٍ أخرى. ومن ذلك ما رُوي عن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– الذي سمع هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في الصلاة بلهجةٍ غير التي حفظها عمر، فانتظر حتى انتهى من صلاته، فأخذه من ردائه إلى رسول الله ﷺ، وقال: يا رسولَ اللَّهِ إني سمعتُ هذا يقرأُ بسورةَ الفرقانِ على حروف لم تُقْرِئْنيها، فقالَ لَهُ رسولُ ﷺ: اقرأ، فقرأَ القراءةَ الَّتي سمعتُهُ يقرأُ، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: كذلك أُنزِلَت، ثمَّ قالَ: اقرأ يا عمر، فقرأتُ. فقالَ: كذلك أُنزِلَت، ثمَّ قالَ: إنَّ هذا القرآنَ أُنزِلَ على سبعةِ أحرفٍ فاقرءوا ما تيسَّرَ منْهُ[3].

ج– لغات القرآن:

اختلف العلماء في تعيين اللغات السبعة التي دلّ عليها حديث رسول الله ﷺ، حيث قال بعضهم: إن المقصود بها سبع لهجاتٍ من لغات العرب، وقال بعضهم الآخر: إن المقصود بها سبعة أنواعٍ من القراءات، حيث اعتبروا اختلاف حركات الإعراب نوعاً، واختلاف النطق بالتفخيم، والترقيق، والإمالة، والإدغام، والفتح، والإظهار نوعاً ثانياً، وإبدال حرفٍ مكان حرفٍ نوعاً ثالثاً، كإبدال السين بالصاد في كلمة السراط.

وقال الزركشي بأنّها لغة "هذيل وتميم وأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر"[4].

---

[1] صحيح البخاري، تح: محمد زهير الناصر، ج3، ص122، رقم الحديث 2419.

[2] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص47.

[3] ينظر: فتح الباري، ج9، ص20.

[4] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص218.

أما الجزري فقد أورد رأي أبي عبيد والسجستاني، حيث يقول: إن أبا عبيد قال: قريش وهذيل وثقيف وهوازن وكنانة وتميم واليمن. وأبا حاتم السجستاني قال: نزل بلغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر[1].

وقد ألّفت في الموضوع كتبا، منها: كتاب (لغات القرآن) للفراء، ومثله للأصمعي، ومثله أيضا لأبي زيد. ومن أقدم ما وصل إلينا في الموضوع كتابان: أحدهما كتاب (ما ورد في القرآن الكريم من لغات القبائل) لأبي عبيد الله القاسم بن سلام (214هـ)، وثانيهما (كتاب اللغات في القرآن) لإسماعيل بن عمرو المقرئ (429هـ)

3- أمثلة عن لغات القبائل في القرآن الكريم:

أورد السيوطي في كتابه الإتقان بابا عرض فيه لما وقع في القرآن الكريم بغير لغة الحجاز، وأغلب الأمثلة التي أوردها تتناول المستوى الدلالي، فنسب كل لفظة إلى قبيلتها من غَير الحجازيين، ومن ذلك[2]:

أ- المستوى الدلالي:

لغة كنانة: وردت بعض الألفاظ في القرآن الكريم بلغة كنانة، مثل قوله تعالى: ﴿السُّفهاء﴾ (البقرة، 13) بمعنى الجهّال. وقوله أيضا: ﴿لا خَلاقَ﴾ (آل عمران، 77) بمعنى لا نصيبَ. وقوله أيضا: ﴿يَعْزُبُ﴾ (يونس، 61) بمعنى: يغيبُ.

لغة هذيل: وردت بعض الألفاظ في القرآن الكريم بلغة هذيل، مثل قوله تعالى: ﴿شَرَوْا﴾ (البقرة،102) بمعنى: باعوا. وقوله أيضا: ﴿عَيْلَةً﴾ (التوبة،28) بمعنى: فاقة وحاجة. وقوله أيضا: ﴿الرِّجْزَ﴾ (المدثّر، 05) بمعنى: العذاب.

لغة حِمْيَر: وردت بعض الألفاظ في القرآن الكريم بلغة حِمْيَر، مثل قوله تعالى: ﴿أنْ تَفْشَلا﴾ (آل عمران، 122) بمعنى: أنْ تَجْبُنا. وقوله أيضا: ﴿السِّقايَة﴾ (يوسف) بمعنى: الإناء. وقوله أيضا: ﴿مَسْنون﴾ (الحجر) بمعنى: مُنْتِن.

لغة أزد شنوءة: وردت بعض الألفاظ في القرآن الكريم بلغة أزد شنوءة، مثل قوله تعالى: ﴿لاشِيَةَ﴾ (البقرة،71) بمعنى: الشِّية أي البياض، ويُكنّى به البرص. وقوله أيضا: ﴿بالوصيد﴾ (الكهف، 18) بمعنى: الفِنَاء. وقوله أيضا: ﴿الرَّسِّ﴾ (الفرقان،38) بمعنى: البئر.

ب- المستوى النحوي:

---

[1] ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1، ص24.

[2] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص283 وما بعدها.

قلّما نجد المستوى النحوي والصرفي في القرآن الكريم من غَير لغة الحجازيين، وقد أبان عنهما بشكل واضح الاختلاف الحاصل بين القراءات القرآنية، ومن أمثلته:

الفعل (زوّجَ) في لغة الحجاز يتعدّى بنفسه، أمّا عند أهل اليمن فيتعدّى إلى المعمول الثاني بحرف الجر، فيقال: زوّجتُك بفلانة، ومنه قوله تعالى: ﴿كذلك وزوّجناهم بحور عين﴾ (الدخان، 54).

لغة من يلزم المثنّى الألف، وهي لغة كنانة وبني الحارث بن كعب، وجاء منه على قراءة نافع وابن عامر والكسائي وحمزة، قوله تعالى: ﴿إنّ هذان لساحران﴾ (طه، 63).

ج- المستوى الصرفي:

تختلف القبائل العربية في المد والقصر، فالحجاز أهل حضر يمدّون بينما غيرهم من أهل البادية وفيهم تميم وقيس وربيعة وأسد فإنّهم يقصرون، وقد جاء من هذا في القرآن الكريم، حيث قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ﴿دَكًّا﴾ منوّنة مقصورة من قوله تعالى: ﴿جعله دَكًّا﴾ (الكهف، 98)، وهذا على لغة تميم وقيس وأضرابهم. وقرأ حمزة والكسائي ﴿دكّاء﴾ ممدودة غير منوّنة على لغة الحجازيّين.

مصدر الفعل (كذّب) الذي هو (تكذيبا)، غير أن اليمن يجعلون المصدر (كِذّابا) وقد جاءت بذلك قراءة الجمهور لقوله تعالى: ﴿وكذبوا بآياتنا كِذّابا﴾ (النّبأ، 28).

المحاضـــــرة الثـالثـــــة

غريـــــــب القـــــــرآن

عناصر المحاضرة:

أولا: تعريفه لغة واصطلاحا، **ثانيا:** تناول العلماء لغريب القرآن، **ثالثا:** كتب غريب القرآن

1- تعريف غريب القرآن:

أ- الغريب لغة:

جاء في لسان العرب "... الخبر المغرب: الذي جاء غريبا حادثا طريفا. والتّغريب: النفي عن البلد. وغَرُبَ أي: بَعُدَ؛ ويُقال: أُغْرُبْ عنّي: تَباعَد... وأغْرَبَ الرّجل: صار غريبا؛ حكاه أبو نصر. وقَدَحٌ غَريبٌ: ليس من الشجر التي سائر القداح منها. ورجل غريب: ليس من القوم؛ ورجل غريب وغرب أيضا، بضمّ الغين والراء... والغريب: الغامض من الكلام؛ وكلمة غريبة، وقد غربت"[1]. "وتقول: فلان يعرب كلامه ويغرب فيه، وفي كلامه غرابة، وغرب كلامه، وقد غربت هذه الكلمة أي: غمضت فهي غريبة، ومنه مصنّف الغريب"[2].

و"الغريب من الكلام يقال به على وجهين: أحدهما أن يراد به بعيد المعنى غامضه، لا يتناوله الفهم إلا عن بعد ومعاناة فكر، والوجه الآخر أن يراد به كلام من بعدت به الدار ونأى به المحل من قبائِل العرب، فإذا وقعت إلينا الكلمة من لغاتهم استغربناها، وإنما هي كلام القوم وبيانهم، وعلى هذا ما جاء عن بعضهم وقال له قائل: أسألك عن حرف من الغريب، فقال: هو كلام القوم، إنما الغريب أنت وأمثالك من الدخلاء فيه"[3].

فالغريب يعني المعنى الغامض والخفي، وغير الواضح، ومن ثَمَّة فهو يحتاج إلى توضيح وتفصيل.

ب- الغريب اصطلاحا:

بداية لا يقتصر غريب القرآن على هذا المعنى اللغوي فحسب، بل هو أوسع من ذلك في اصطلاح كتب غريب القرآن؛ إذ يراد به تفسير ألفاظ القرآن تفسيرا لغويا، وقد يكون هذا التفسير مدعوما بالشواهد المتعددة، وقد يكون مجرّدا من الشواهد. وعليه فيمكن القول بأنه "علم يبحث عن المعنى الأصلي والمعنى المراد من مفردات القرآن الكريم"[4].

ج- غريب القرآن: (لفظ مركب)

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص637 (مادة غرب).

[2] الزمخشري، أساس البلاغة ج1، ص697 (مادة غرب).

[3] الخطابي، غريب الحديث، ج1، ص71.

[4] عبد الغفور محمود مصطفى، دراسات في علوم القرآن ومناهج المفسرين، ص153.

المراد بغريب القرآن الألفاظ التي يخفى معناها على العامة دون الخاصة، فقد قيل في تعريفه: "أما الغريب في القرآن الكريم فهو الألفاظ القرآنية التي يُبْهم معناها على القارئ، والمفسّر، وتحتاج إلى توضيح معانيها، بما جاء في لغة العرب، وكلامهم". وقيل أيضا: "هي الألفاظ التي يخفى معناها ويدقّ على العامة دون الخاصة، وذلك في بيئة معيّنة بسبب وفودها من بيئة مكانية غريبة، أو بسبب استعمالها في غير ذلك".

وذلك لأن ألفاظ القرآن، كما يقول الإمام أبو حيان على قسمين:

قسم: يكاد يشترك في معناه، عامة المستعربة، وخاصتهم، كمدلول السماء، والأرض، وفوق، وتحت.

وقسم: يختص بمعرفته من له اطّلاع وتبحّر في اللغة العربية، وهو الذي صنّف أكثر الناس فيه، وسمّوه غريب القرآن".

فغريب القرآن هي الألفاظ الغامضة والخفيّة المعنى، مثل: الخَبْء[1]، أبًّا[2]، ضيزى[3]، رِفْدًا[4]. ودرجة الغرابة في الألفاظ القرآنية قد تكون نسبية؛ فما يعُد غريبا عند قبيلة لا يُعَدُّ كذلك عند غيرها، وكذلك الأمر من عصر لآخر. وقد لخّص الرافعي ذلك في قوله: "في القرآن ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب، وليس المراد بغرابتها أنها منكرة أو نافرة أو شاذة فإن القرآن منزّه عن هذا جميعه وإنما اللفظة الغريبة هاهنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس".

2- تناول العلماء لغريب القرآن:

في البداية كانت الحاجة ملحّة إلى تفسير بعض ألفاظ القرآن التي خفي معناها على بعض العرب الذين لم يكن لهم عهد بها، فالقرآن عربي ونزل بلغة العرب عامة، ومع ذلك كانت فيه ألفاظ خاصّة ببعض القبائل، دون بعضها الآخر، فاحتاج الأمر إلى أن تُفَسّر هذه الألفاظ، حتى لا يظل في القرآن لفظ غامض.

ومع ذلك فإنّ الصّحابة – رضي الله عنهم- أحجموا عن شرح وتفسير غريب القرآن في البداية خوفا من الخطأ، من ذلك: ما يروى عن أبي بكر الصّدّيق حين "سئل عن قوله تعالى: ﴿**وفاكهة وأبّا**﴾ (عبس، 31). فقال: أيّ سماء تُظلّني، أو أيّ أرض تقلّني إنْ أنا قلتُ في كتاب الله ما لا أعلم؟".

وكذلك عن أنس أنّ عمر بن الخطاب قرأ على المنبر قوله تعالى: ﴿**وفاكهة وأبا**﴾ (عبس، 31). فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأَبُّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إنّ هذا لَهُوَ التّكلّف يا عمر"[5].

---

[1] الخبْء والمخبوء، يقول تعالى: ﴿الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض﴾ (النمل،25). الخبء الذي في الأرض: النبات. والذي في السماء: المطر.

[2] أبًّا: ﴿وفاكهة وأبًّا﴾. الفاكهة: ما يتفكّه فيه الإنسان من تين وعنب وخوخ ورمان وغير ذلك. والأبُّ: ما تأكله البهائم والأنعام.

[3] ضيزى: ﴿تلك إذا قسمة ضيزى﴾. والمعنى: جائرة وغير عادلة.

[4] رِفْدًا: الرفد: العطاء والصلة.

[5] القاسم بن سلام، فضائل القرآن، باب تأوّل القرآن باللفظ وما في ذلك من الكراهة والتغليظ، ج1، ص375.

ولكن فيما بعد شرح بعض الصّحابة الألفاظ القرآنيّة الغريبة بالرّجوع إلى الشّعر باعتباره ديوان العرب، ومنهم ابن عباس الذي قال: "فإذا خفِيَ علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب فرجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه"[1]. ومن أمثلة ذلك[2]:

أنّ نافع بن الأزرق سأل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿**فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون**﴾ (البقرة،22). قال: الأنداد هم الأشباه، فقال نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول لبيد:

أَحْمَدُ اللهَ فلا نِدَّ لهُ بيديه الخير ما شاء فعل

وسأله عن قوله تعالى: ﴿**واقتلوهم حيث ثقفتموهم**﴾ (البقرة،191). فقال: أي وجدتموهم، فقال نافع: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول حسان:

فإمّا يَثْقَفْنَ بني لُؤَيْ جُذَيْمَة أنّ قتْلَهم دواءٌ

ومع ذلك فهناك ألفاظ قرآنية لا جود لها في الشعر، فقد رُوي عن ابن عباس أنه قال: كل القرآن أعلمه إلا أربعا: "غسلين"[3]، "وحنانا"[4]، "أوّاه"[5]، "الرقيم"[6].

3- كتب غريب القرآن:

إنّ غريب القرآن جزء من علم معاني القرآن لأنّه لا يمكن بيان المعنى دون معرفة مدلول اللفظ، وكتبه – وإن استقلت بالتأليف– فهي جزء من علم معاني القرآن لأنها تُعنى بمدلول الألفاظ خاصة، أي تجرّدت لتفسير الألفاظ القرآنية تفسيرا لغويا إلا قليلا منها قد تُبَيِّن بعض ما يتعلق بالآية من المعاني.

وبدأ التأليف في غريب القرآن منذ البدايات، وأوّل ما عرف منه ما روي عن ابن عباس وإجاباته لابن الأزرق ولكنّه لم يدوّنها لأن عهده لم يكن عهد تدوين، ربّما دوّنها من جاء بعده. ثمّ تتابع التأليف فيما بعد حتى أحصى العلماء أكثر من خمسين كتب ورسالة في تفسير غريب القرآن، منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو مخطوط، ومنها ما هو مفقود، من ذلك[7]:

تفسير غريب القرآن للإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الفقيه المفسر (ت 122هـ).

---

[1] الإتقان، السيوطي، ج1، ص221. والبرهان، الزركشي، ج1، ص294.

[2] الدر المنثور في التفسير بالمنثور، وبهامشه تفسير ابن عباس، السيوطي، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص34، 35.

[3] سورة الحاقة، جزء الآية36.

[4] سورة مريم، جزء الآية13.

[5] سورة هود، جزء من الآية75.

[6] سورة الكهف، جزء من الآية09.

[7] فادي محمود محمد الرفاعي، غريب القرآن للإمام السجستاني "دراسة نقدية"، حولية كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة، جامعة الأزهر، م2، ع33، 2021/2020، ص351، 352.

غريب القرآن لمحمد بن السائب بن بشر أبو النضر المفسر الكوفي (ت 146هـ).

الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان البلخي (ت 150هـ)

غريب القرآن ليحيى بن المبارك بن المغيرة العدوي اليزيدي البصري (ت 202هـ)

غريب القرآن للنضر بن شميل بن خرشة بن يزيد بن كلثوم البصري النحوي الفقيه (ت 203هـ)

غريب القرآن للأصمعي عبد الملك بن قريب الباهلي أبو سعيد (ت 216هـ)

غريب القرآن لمحمد بن سالم بن عبيد الله الجمحي البصري (ت 231هـ) (وقيل 232هـ)

غريب القرآن لعبد هللا بن يحيى بن المبارك العدوي البغدادي المعروف باليزيدي والمتوفي سنة 237هـ.

غريب القرآن لمحمد بن عبد هللا بن قادم الكوفي أبو جعفر المتوفى سنة 251هـ.

غريب القرآن لمحمد بن دينار الأحول الكوفي أبو العباس المتوفى سنة 259هـ

تفسير غريب القرآن البن قتيبة عبد هللا بن مسلم الدينوري اللغوي النحوي المتوفى سنة 276هـ

غريب القرآن ألبي جعفر أحمد بن رستم الطبري المقرئ، المتوفى النصف الثاني من القرن الثالث الهجري

غريب القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر الإمام المفسر المؤرخ المتوفى 310هـ.

غريب القرآن وتفسيره لمحمد بن العباس بن محمد بن يحيى اليزيدي المتوفى سنة 310هـ.

غريب القرآن لأحمد بن سهل البلخي أبو زيد – المتوفى سنة 322هـ.

غريب القرآن لإبراهيم بن محمد بن عرفة أبو عبد هللا الملقب بـ "نفطويه" المتوفى سنة 323هـ.

نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن لمحمد بن عُزَيز العزيزي السجستاني أبو بكر المتوفى سنة 330هـ.

غريب القرآن لأحمد بن كامل بن خلف أبو بكر المتوفى سنة 350هـ

كتاب الغريبين للهروي أبي عبيد أحمد بن محمد المتوفى سنة 401هـ.

غريب القرآن لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي المتوفى سنة 421هـ

تفسير المشكل من غريب القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة 437هـ

غريب القرآن لأبي عمر عبد الواحد بن أحمد المليحي المتوفى سنة 463هـ

المحاضـــــــرة الرابعـــــة

إعـــــراب القـــــــرآن "أصولـــه"

عناصر المحاضرة:

أولا: تعريف الإعراب: لغة واصطلاحا، **ثانيا:** علم إعراب القرآن، **ثالثا:** نشأة علم إعراب القرآن وتطوره

1- تعريف الإعراب:

أ- لغة:

قال ابن منظور في لسان العرب: "يقال: أعرب عن لسانه: أبان وأفصح، وأعرب الرّجل عن لسانه: بيّن عنه، ورجل عربي اللسان: إذا كان فصيحا"[1]. وجاء في المعجم الوسيط: أعرب فلان: كان فصيحا في العربية، وإن لم يكن من العرب، وأعرب الاسم الأعجمي: نطق به على منهاج العرب، وأعرب عن حاجته: أبان وأفصح"[2]. فالإعراب هو الإبانة والإفصاح والإظهار.

ب- اصطلاحا:

الإعراب عند ابن جني "الإبانة عن المعاني بالألفاظ..." وابن الأنباري: "أما الإعراب حده اختلاف أواخر الكلم باختلاف العوامل لفظا وتقديرا". ابن الحاجب: "هو ما اختلف آخره، على المعاني المعتورة عليه". السيوطي: "فيه تميّز المعاني ويوقف على أغراض المتكلّمين، وذلك أنّ قائلا لو قال: ما أحسن زيد غير معرب لم يوقف على مراده".

قد اختلف العلماء حول حقيقة الإعراب الوارد في الأحاديث السابقة، هل هو المعنى اللغوي المتعارف عليه بين النحاة والذي يقصد به الإبانة والإفصاح والتفسير أم أنّه المعنى الاصطلاحي الذي يفيد تحديد الموقع الإعرابية ووظائفها النحوية كلمة بكلمة؟

فالإعراب في البداية كان المقصود به النّحو، وليس إعراب الكلمات والجمل كما نعرفه اليوم. وهو ما ركّز عليه الاصوليّون؛ إذ جعلوا النّحو أو الإعراب جزءا من تفسير القرآن الكريم، لأنّه يسهم في الإبانة والإفصاح عن المراد من الكلام، حيث استطاعوا أن يستغلوا القواعد النحوية ويوجّهوها توجيها دلاليا وبلاغيا لاستخراج أدلة الأحكام الشرعية والفقهية منها.

ولهذا تناقلت كتب الأصوليّين تعريفات أيضا للإعراب من منظور أصولي، فعرّفه ابن حزم "بأنّه ترتيب العرب لكلامهم الذي نزل به القرآن وبه يفهم معاني الكلام التي يعبّر عنها باختلاف الحركات وبناء الألفاظ"[3].

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص589 (مادة عرب).

[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق، القاهرة، ط07، 2011، ص612 (مادة عرب).

[3] ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، تح: أحمد محمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط2، 1983، ص25.

فالإعراب عندهم وسيلة مساعدة للكشف عن معنى الكلام ومقصده. فهم لم يبحثوا في الإعراب عن الذي هو اختلاف أواخر الكلم، وإنما بحثوا عن دلالة الجملة العربية في أساليب الاستثناء والشرط والتوكيد والوصل ... وأمثال ذلك مما لا علاقة له بتغيّر أواخر الكلم".

2- علم إعراب القرآن:

هو "علم يبحث في تخريج تراكيب القرآن الكريم على القواعد النحوية المقررة". ولو أردنا توضيح المراد بهذا التعريف؛ يمكن أن نقول إن عمل مُعْرِب القرآن الكريم هو توجيه الآيات القرآنية، ومحاولة إيجاد الوجوه النحوية المناسبة في إعرابها آخذا بعين الاعتبار اختلاف القراءات القرآنية، ويُعنى بتخريج آيات القرآن الكريم على أفصح الوجوه مما استقر من القواعد النحوية.

ويهتم معرب القرآن الكريم بالتراكيب لا بالألفاظ المفردة (وزنا أو دلالة) إلا فيما يتصل من ذلك بإعراب آيات القرآن الكريم من بيان معاني المفردات، وتحديد أنواع الكلمات وأوزانها؛ مما يوضح معنى الآية الكريمة ويسهّل إعرابها.

3- نشأة علم إعراب القرآن وتطوره:

مرّ علم إعراب القرآن بعدة أطوار قبل أن يستقر كعلم واضح المعالم؛ فقد أقبل العلماء منذ وقت مبكر على النص القرآني محاولين ضبط ألفاظه وبيان إعرابه حفظا من اللحن، ويمكن إجمال هذه الأطوار كالآتي:

أ- الطور الأول: (مرحلة نقط الإعراب)

أضاف أبو الأسود الدؤلي حركات الإعراب، حيث عمد إلى "تشكيل حروف المصحف بالتّمييز بين الضمة والفتحة والكسرة، وكذلك التّنوين في صورة نقط متباينة"[1]، وذلك بإضافة نُقَطٍ بِمِدادٍ يُخالِف لونَهُ لوْنَ الكتابة؛ فكانت صورة الفتحة نقطة فوق الحرف، والضمة نقطة بين يدي الحرف (بجانبه)، والكسرة نقطة أسفل الحرف. ولكن هذه النّقط تداخلت مع نقط الحروف المعجمة، فجاء الخليل بن أحمد (170هـ) وطوّرها مخترعا ما يسمّى بالحركات اليوم"[2].

ب- الطور الثاني: (مرحلة كتب معاني القرآن)

درست كتب (معاني القرآن) النص القرآني دراسة لغوية شاملة؛ نحوا وصرفا ودلالة، قصدا لرفع الإشكال عن آيات القرآن الكريم، وتفسيرها، وبيان دلالتها وفق ما جمعوه من كلام العرب، ولذلك صنفها الدارسون

---

[1] بو سعيد السّيرافي، أخبار النحويين البصريين، تح: طه محمد الزيني، نشر: مصطفى الحلبي، 1966 ص13.

[2] أحمد سليمان ياقوت، ظاهرة الإعراب في النحو العربي وتطبيقها في القرآن الكريم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م ص56.

ضمن كتب (التفسير اللغوي للقرآن)، وقد تزامن ظهورها مع بداية ازدهار النحو العربي، ولهذا فإنها تزدحم بمسائل النحو وما فيها من خلاف، حيث يردّ الخلاف غالبا إلى وجوه إعرابية مختلفة.

ج- الطور الثالث: (مرحلة التأليف المستقل في إعراب القرآن الكريم)

في هاته المرحلة أفردت مصنفات اختصّت بإعراب القرآن، وبذلك فُصل بين معاني القرآن وإعرابه، وأوّل من قام بذلك وكتب مُؤَلَّف مستقل هو أبو جعفر النحاس (338هـ) في كتابه (إعراب القرآن).

المحاضـــــــرة الخامســـــة

إعـــــراب القـــــــرآن "كتبـــــه"

عناصر المحاضرة:

أولا: بين كتب معاني القرآن وإعراب القرآن، ثانيا: كتب إعراب القرآن، ثالثا: ضوابط إعراب القرآن.

1- بين كتب معاني القرآن وإعراب القرآن:

كانت الصلة وثيقة بين معاني القرآن وإعرابه؛ إذ تضمنت كتب معاني القرآن تقريرا للمعاني النحوية، وإثارة للمسائل الإعرابية، وظهورا واضحا للتوجيهات النحوية المختلفة؛ فقد كان مؤلفو كتب المعاني يقصدون إلى إعراب القرآن قصدهم إلى بيان معانيه. وإن كانت قد وضعت في الأساس لغرض التفسير اللغوي الشامل للألفاظ والأساليب العربية الواردة في القرآن الكريم؛ فهي توضح الألفاظ الغريبة، والأعاريب المشكلة، أو التصاريف الصعبة، والأساليب الغامضة، وغير ذلك من الأمور اللغوية.

والفرق بين كتب (معاني القرآن) وكتب (إعراب القرآن) أن الأولى معنيّة بموضوعات لغويّة متعددة؛ أما الثانية فانصبّ اهتمامها على الإعراب خاصة، وإن ذكر فيها غيره من الأمور اللغوية فإنما يذكر تبعا له، مثل توجيه القراءات وما يترتب على اختلافها من اختلاف الإعراب أو المعنى، وقد تُفسر فيها الألفاظ بما يخدم غرض الإعراب.

ومن كتب معاني القرآن نجد: معاني القرآن لأبي حمزة الكسائي (189هـ)، معاني القرآن للفرّاء (207هـ)، معاني القرآن للأخفش الأوسط (215هـ)، معاني القرآن وإعرابه لأبي إسحاق الزجاج (311هـ).

2- كتب إعراب القرآن:

إن أوّل كتاب في إعراب القرآن قد وصل إلينا كما قلنا في المحاضرة السابقة هو كتاب (إعراب القرآن) لأبي جعفر النحاس (338هـ)، ولكن من أقدم ما أُلِّف في هذا المجال، نذكر:

إعراب القرآن لقطرب (206هـ)، إعراب القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (210هـ)، إعراب القرآن لأبي حاتم السجستاني (255هـ). وهاته الكتب لم تصل إلينا فربما تكون قد ضاعت لقدمها أم أنها لم تحقّق.

ونجد أن الكتب القديمة التي أُلِّفت في هذا المجال كثيرة، وقد حقّقت ووصلت إلينا، نذكر بعضها[1]:

مشكل إعراب القرآن للقيسي أبي محمد مكي بن أبي طالب (337هـ)، الملخص في إعراب القرآن للخطيب التبريزي (502هـ)، البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري (577هـ)، التبيان في إعراب القرآن للعكبري (616هـ)، الفريد في إعراب القرآن المجيد لأبي يوسف حسين بن أبي المعز الهمذاني (643هـ).

[1] يوسف العيساوي، علم إعراب القرآن، ص133 وما بعدها.

ولم يقتصر التأليف في إعراب القرآن على القدامى فحسب، بل تعدّاه إلى المحدثين، وممّا كتب في هذا المجال حديثا: نذكر[1]:

الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل لبهجت عبد الواحد صالح، إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين الدرويش، إعراب القرآن الكريم لأحمد عبيد الدعاس.

وقد تنوّع التّأليف في إعراب القرآن بين إعراب القرآن كاملا، وبين إعراب جزء أو سورة أو آيات، وما ذكرناه من التّآليف السّابقة فقد كان من النّوع الأوّل (إعراب القرآن كاملا)، وأمّا ما أُلّف في النّوع الثّاني نذكر[2]:

إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه (370هـ)، فاتحة الإعراب بإعراب الفاتحة للإسفراييني (684هـ)، الكلام على قوله تعالى: ﴿إنَّ هذان لساحران﴾ لابن تيمية (728هـ).

ومن الكتب الحديثة: إعراب سورة آل عمران لعلي حيدر، في إعراب القرآن لمحمد أحمد نحلة، سفينة النجاة فيما يتعلق بقوله تعالى: ﴿حاش لله﴾ لمتولي الشعراوي.

3- منهج إعراب القرآن

وهي الضوابط الواجب توفرها لمعرب القرآن الكريم، وهي:

- ✓ أن يفهم المعنى قبل الخوض في الإعراب، ولذلك لا يصح إعراب فواتح السور، مثل: ألم، كهيعص، حم... لأن الله استأثر بمعناها.
- ✓ أن يكون خبيرا بقواعد النحو، فـ (ثمود) في قوله تعالى: ﴿وثمودًا فما أبقى﴾ (النجم، 51). لا يصحّ إعرابها مفعولا به مقدّما للفعل (أبقى) لأنّ بينهما (ما) النافية والتي من حقّها الصّدارة في الكلام، فلا يعمل ما بعدها فيما قبلها، بل هو معطوف على ﴿عادًا﴾ في الآية السّابقة.
- ✓ أن يكون ملما بكلام العرب، فمن ذلك لا يصحّ في العربية جعل الكاف للقسم في قوله تعالى: ﴿كما أخرجك ربّك من بيتك بالحق﴾ (الأنفال، 05).
- ✓ أن يتجنب الأوجه البعيدة في الإعراب أو الشاذّة أو الضعيفة، ولا يعتمدها إلا للضرورة، وعليه أن يطلب القريب أو القوي أو الفصيح. وكمثال على ذلك: إعراب (أهلَ) منصوبة على الاختصاص في قوله تعالى: ﴿ليذهب عنكم الرّجس أهلَ البيت﴾ (الأحزاب، 33). والصواب انه منصوب لأنه منادى، فالنصب على الاختصاص ضعيف بعد ضمير المخاطب.

---

[1] المرجع نفسه، ص147.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص150.

- ✓ أن يكون على علم بالشروط التي وضعها العلماء لكلّ باب من أبواب النّحو المختلفة، وكمثال على ذلك: إعراب الصّراطَ ظرف مكان في قوله تعالى: ﴿فاستبقوا الصّراطَ﴾ (يس، 66). وهذا خطأ لأنّ شرط ظرف المكان أن يكون مبهما، وإنّما الصّواب انّها منصوبة على نزع الخافض، والتّقدير (إلى الصّراطِ).
- ✓ أن يستعين على كل تركيب بما يشاكله كلما كان ذلك ممكنا، وإلا وقع في تناقض، من ذلك: إعراب (بغافل) في محل رفع من قوله تعالى: ﴿وما ربّك بغافل عمّا يعملون﴾ (الأنعام، 132). والصواب أنه في محل نصب، لأنّ الخبر لم يجئ في التّنزيل مجرّدا من الباء إلا وهو منصوب.
- ✓ أن يراعي الرسم الذي عليه المصحف، لذلك أخطأ من قال في ﴿سلسبيلا﴾ (الإنسان، 18): إنّها جملة فعلية مشكّلة من فعل الأمر (سلْ) ومفعوله (سبيلا)، لأنّها لو كانت كذلك لكتبت في المصحف مفصولة.

المحاضرة السادسة

المحكم والمتشابه

عناصر المحاضرة:

أولا: تعريف المحكم، ثانيا: تعريف المتشابه، ثالثا: الفرق بين المحكم والمتشابه، رابعا: أقسام المتشابه.

تصنف آيات القرآن الكريم من حيث ظهورها وعدمه إلى ثلاثة أصناف:

- ✓ **أحدهما:** ما يتأكّد ظاهرها بالدّلائل العقليّة، فذاك هو المحكم.
- ✓ **ثانيهما:** الذي قامت الدّلائل القاطعة على امتناع ظواهرها، فذاك هو الذي يحكم فيه بأنّ مراد الله تعالى غير الظّاهر.
- ✓ **ثالثهما:** الذي لا يوجد مثل هذه الدّلائل على طرفي ثبوته وانتفائه، فيكون من حقّه التّوقّف فيه، ويكون ذلك متشابها ولم يتميّز أحد الجانبين من الآخر.

وعليه فالقرآن فيه محكم ومتشابه، لقوله تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات مُحْكَمات هُنَّ أُمُّ الكِتابِ وأُخَرُ مُتَشابِهات﴾ (آل عمران، 07). ولكن ما المقصود بالمحكم والمتشابه؟

أولا: تعريف المحكم

1- لغة: الإحكام هو الإتقان، وهو إذا كان الكلام ذا دلالة واضحة بحيث لا يحتمل وجوهًا من المعاني، وهو مأخوذ من الحُكْمِ بمعنى المنْع والسّدّ. قال ابن منظور: "وأَحْكَمَ الأمرُ: أتقنه والحكيم المتقن الأمور"[1]. وفي القاموس: "أحكمه: أتقنه فاستحكم، ومنعه من الفساد"[2]. وقيل: هو من قولهم حكمت فلانًا وأحكمته عن كذا أي رددته ومنعته، ومنه الحاكم لأنّه يمنع النّاس الظّلم[3].

من خلال التعريفات اللغوية يتضح أن المحكم مشتق من أحكم وحكم، وهو يدل على معنيين:

- ✓ معنى وجودي وهو الإتقان والوثوق.
- ✓ معنى عدمي وهو المنع عن الفساد أو تطرّق الخلل إلى نفسه.

2- اصطلاحا: المحكم عند القرطبي هو "ما ظهر معناه وانكشف كشفًا يرفعُ الاحتمال، أو هو ما عُرِفَ تأويله وفُهِمَ تفسيره"[4].

3- أمثلة عن المحكم: إن أغلب آيات القرآن الكريم من المحكمات، ومن أمثلة ذلك:

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة حكم

[2] الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة حكم، باب الميم، فصل الحاء.

[3] ابن منظور، لسان العرب.

[4] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص09.

قوله تعالى: ﴿وأحلَّ الله البيع وحرّمَ الرّبا﴾ (البقرة، 275). وقوله أيضا: ﴿الزّانيةُ والزّاني فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائةَ جلْدةٍ﴾ (النّور، 02). فهذه الآيات محكمة وواضحة، ولا تحتاج إلى تأويل.

والقرآن كله محكم، وما يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ألر كتاب أُحْكِمَتْ آياته ثمّ فصّلت من لدن حكيم خبير﴾ (هود،01). وقوله أيضا: ﴿ثمّ يُحْكِمُ الله آياته والله عليم حكيم﴾ (الحج، 52). والمراد من المحكم بهذا المعنى كونه كلاما حقّا فصيح الألفاظ صحيح المعاني، ومهما كان من قولٍ أو كلامٍ فإنّ القرآن أفضل منه فصاحة وأقوى منه معنى.

ثانيا: تعريف المتشابه

1- لغة: يطلق المتشابه في اللغة على ما له أجزاء يشبه بعضها بعضا، وعلى ما يشتبه من الأمور، أي ويلتبس، وجاء في لسان العرب "والمشتبهات من الامور المشكلات، والمتشابهات المتماثلات... والشّبهة: الالتباس، وأمورٌ مشتبهة ومشبّهة: مشكلة يُشبهُ بعضها بعضا"[1].

وفي أساس البلاغة "تشابهَ الشّيئان، واشتبهن الامور وتشابهت: التبست لإشباهِ بعضها بعضًا"[2]. "واشتبهَ عليَّ الأمرُ: إذا أشْبهَ غيره فلم تكد تَفْرُقُ بينهما، وشبّهت علَيَّ: إذا لبست الحقّ بالباطل"[3]. وأصل التّشابه أن يُشْبِه اللفظُ الفظَ في الظّاهر، والمعنيان مختلفان، قال تعالى في وصف ثمار الجنّة: ﴿وأُتوا بهِ متشابهًا﴾ أي متّفق في المناظر، مختلف في الطّعم والمذاق[4].

ممّا سبق يمكن القول إنّ التّشابه إذا حصل بين شيئين وعجز الإنسان عن التّمييز بينهما سُمّي ذلك بالمتشابه، وربّما سُمّي أيضا بالمشكل لأنّه أشكل على الإنسان تمييزه عن غيره، أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله. يقول ابن قتيبة: "قالوا في كل ما غمض ودقّ متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشّبه بغيره، ألا ترى أنّه قد قيل في الحروف المقطّعة أوائل السّور: متشابه، وليس الشّكّ فيها والوقوف عندها لمشاكلتها غيرها والتباسها بها"[5].

2- اصطلاحا: هو الكلام الذي يشبه بعضه بعضا في الكمال والجودة ويصدّق بعضه بعضا في المعنى ويماثله. وهو أيضا اللفظ المحتمل لوجوه من المعاني، وكان موضع ريب وشبهة، ومن ثمّة فهو كما يصلح للتّأويل إلى وجه صحيح يصلح للتّأويل إلى وجه فاسد، لذا كان فيه مطمع لأهل الزّيغ.

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة شبه.

[2] الزمخشري، أساس البلاغة.

[3] ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن، القاهرة، ط2، 1973، ص101.

[4] المرجع نفسه.

[5] المرجع نفسه.

3- أمثلة عن المتشابه:

قوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ (الفتح، 10). وقوله أيضا: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾ (القلم، 42).

والقرآن كله متشابه، وما يدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿الله نزّل أحسن الحديث كتابا متشابهًا مثاني﴾ (الزمر، 23). والمعنى أنّه يشبه بعضه بعضا، ويصدّق بعضه بعضا.

ثالثا: الفرق بين المحكم والمتشابه

اختلف في الفرق بين المحكم والمتشابه كما نصّت الآية، وجاءت في ذلك أقوال منها[1]:

- ✓ الْمُحْكَمُ مَا عُرِفَ الْمُرَادُ مِنْه إِمَّا بِالظُّهُورِ وَإِمَّا بِالتَّأْوِيلِ، وَالْمُتَشَابِه مَا اسْتَأْثَرَ اللَّه بِعِلْمِهِ كَقِيَامِ السَّاعَةِ وَخُرُوجِ الدَّجَّالِ وَالحرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ.
- ✓ الْمُحْكَمُ مَا وَضَحَ مَعْنَاه، وَالْمُتَشَابِهُ نَقِيضُهُ، أي ما لم يتّضح معناه.
- ✓ الْمُحْكَمُ مَا لَا يَحْتَمِلُ مِنَ التَّأْوِيلِ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا، وَالْمُتَشَابِهُ مَا احْتَمَلَ أَوْجُهًا.
- ✓ الْمُحْكَمُ مَا كَانَ مَعْقُولَ الْمَعْنى، وَالْمُتَشَابِهُ بِخِلَافِهِ. كَأَعْدَادِ الصَّلَوَاتِ وَاخْتِصَاصِ الصّيامِ بِرَمَضَانَ دُونَ شَعْبَانَ.
- ✓ الْمُحْكَمُ مَا اسْتَقَلَّ بِنَفْسِهِ، وَالْمُتَشَابِهُ مَا لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ إِلَّا بِرَدِّهِ إِلَى غيرِهِ.
- ✓ الْمُحْكَمُ مَا تَأْوِيلُهُ تَنْزِيلُهُ، والمتشابِهُ ما لا يُدْرَك إِلَّا بِالتَّأْوِيل.
- ✓ الْمُحْكَمُ مَا لمْ تَتَكَرَّرْ أَلْفَاظُهُ، وَمُقَابِلُهُ الْمُتَشَابِهُ، أي تتكرّر ألفاظه
- ✓ الْمُحْكَمُ الْفَرَائِضُ وَالْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، وَالْمُتَشَابِهُ الْقَصَصُ وَالْأَمْثَالُ.

رابعا: أقسام المتشابه

قسّم الراغب الأصفهاني متشابهَ القرآنِ إلى متشابهٍ من جهة اللفظ فقط، ومتشابهٍ من جهة المعنى فقط، ومتشابهٍ من جهتهما معا. وقد بنى تقسيمه على أن المتشابه من القرآن ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره. وهذه الأقسام هي[2]:

أ- المتشابه من جهة اللّفظ: وهو نوعان، هما:

أ-1- نوع يرجع إلى الألفاظ المفردة: وذلك إمّا من جهة غرابته نحو: (الأبّ) في قوله تعالى: ﴿وفاكهة وأبًّا﴾ (عبس،31). و(يزفّون) في قوله تعالى: ﴿فأقبلوا إليه يزفّون﴾ (الصافات، 94).

وإمّا من جهة مشاركة في اللفظ، كلفظة اليد في قوله تعالى: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾. ولفظة العين، الساق...

---

[1] السيوطي، الإتقان في علوم القرآن.

[2] الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، ط1، 1412هـ، ص443، 444.

أ-2- نوع يرجع إلى جملة الكلام المركّب: وهو ثلاثة أنواع، هي:

- ✓ نوع لاختصار الكلام نحو:﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النّساءِ﴾ (النساء، 3)
- ✓ نوع لبسط الكلام نحو: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى،11)، لأنه لو قيل: ليس مثله شيء كان أظهر للسامع.
- ✓ نوع لنظم الكلام نحو: ﴿أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً قَيِّماً﴾ (الكهف،1و2)، وتقديره: "أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ قَيِّمًا وَلمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا".

ب- المتشابه من جهة المعنى: كأوصاف الله تعالى، وأوصاف يوم القيامة، فإنّ تلك الصّفات لا تتصوّر لنا إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسّه، أو لم يكن من جنس ما نحسّه.

ج- المتشابه من جهة اللفظ والمعنى معا: وهو خمسة أنواع، هي:

الأول: من جهة الكمّيّة كالعموم والخصوص، نحو: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ (التوبة،5).

الثاني: من جهة الكيفيّة كالوجوب والنّدب، نحو: ﴿فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ﴾ (النساء،3).

الثالث: من جهة الزّمان كالنّاسخ والمنسوخ، نحو: ﴿اتّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ﴾ (آل عمران،102).

الرّابع: من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها، نحو:﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها﴾ (البقرة، 189) وقوله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ (التوبة، 37)، فإنّ من لا يعرف عادتهم في الجاهليّة يتعذّر عليه فهم هذه الآية.

الخامس: من جهة الشّروط التي بها يصحُّ الفعل، أو يفسد كشروط الصلاة والنكاح.

المحاضرة السابعة

إعجاز القرآن عند الباقلاني

عناصر المحاضرة:

أولا: تعريف الإعجاز، ثانيا: طبيعة الإعجاز القرآني، ثالثا: التعريف بالباقلاني وكتابه، رابعا: وجوه الإعجاز

أولا: تعريف الإعجاز

الإعجاز من العَجْز، وهو نقيض القُدْرَة والاستطاعة، ولا يكون الشيء معجزا إلاّ إذا أثبت تفوقه على ما سواه، وجاء بما لا يقدر عليه. ومن هذا الباب "معجزات" الرسل عليهم صلوات الله وسلامه، يأتون للناس بخوارق العادات دليلا على نبوّتهم، وبرهانا على رسالتهم، ولهذا نزل القرآن الكريم بلغة العرب، لكنه كان معجزا لهم ومتحدّيا، حيث تحدّاهم أن يأتوا بمثله أو بشيء منه، قال تعالى: ﴿قل فأتوا بسورة مثله﴾ (يونس، 38). وقوله أيضا: ﴿قل فأتوا بعشر سور مثله﴾ (هود، 13). وقوله أيضا: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ (الإسراء، 88).

ثانيا: طبيعة الإعجاز القرآني:

والمقصود به أين يكمن إعجاز القرآن الكريم، أي سرّ إعجازه، وهنا انقسم العلماء إلى فرقتين:

1- الإعجاز بالصّرفة:

كانت الفرقة الأولى ترى أنّ القرآن الكريم معجز بالصّرفة، بمعنى أنّ الله تعالى صرف العرب عن معارضته وعن الإتيان بمثله مع قدرتهم على ذلك، فكان هذا الصّرف خارقا للعادة. وكان هذا رأي أبي إسحاق النظام المعتزلي (221هـ) ومَنْ ذهب مذهبه، وقد رُدّ عليهم بأنه إذا كان العرب قد صُرفوا وأُبعدوا عن محاكاة القرآن مع قدرتهم على ذلك، فلا معنى لإعجازه إذًا، لأنه بهذا المفهوم ليس معجزا بنفسه.

2- الإعجاز بلغته وبيانه:

ترى الفرقة الثانية أن القرآن العظيم معجزٌ بلغته وبيانه، وأصحاب هذا الرّأي هم أهل السّنّة والجماعة، ومن أشهرهم الإمام الباقلاني الذي فصّل الكلام في هذا المجال في كتابه (إعجاز القرآن).

ثالثا: التعريف بالباقلاني وكتابه

1- الباقلاني (338هـ- 403هـ)

هو أبو بكر محمد بن الطيب المعروف بالباقلاني البصري الملقب بشيخ السنة ولسان الأمة، سكن بغداد، صنّف الكثير من التصانيف في علم الكلام وغيره، انتهت إليه رئاسة المالكية في عصره، ويُعد من أكابر أئمة الأشاعرة، وهو من أشهر العلماء في عصره، وهو مجدّد المائة الرّابعة، فقد ألّف العديد من الكتب في مختلف المجالات العلمية، من بينها كتابه المشهور والذّي أحدث ثورة علميّة وأدبيّة وبلاغيّة في مختلف مؤلّفات العلماء

الذّين جاءوا من بعده، المسمّى "إعجاز القرآن" حيث أفرده بالتّأليف، كما ترك ما يربو عن عشرين كتابًا، منها: التقريب والإرشاد، الإنصاف في أسباب الخلاف[1].

2- كتاب إعجاز القرآن:

قد كان السّبب الرّئيس لتصنيف الكتاب هو الرّدّ على مذهب المعتزلة في الإعجاز على أنه بالصرفة وليس إعجازًا في اللغة. وفي ذلك يقول الباقلاني: "وممّا يبطل ما ذكروه من القول بالصرفة، أنّه لو كانت المعارضة ممكنة، وإنما منع منها الصّرفة، لم يكن الكلام معجزا، وإنّما يكون المنع هو المعجز، فلا يتضمّن الكلام فضيلة على غيره في نفسه"[2].

في هذا القول يدحض الباقلاني رأي المعتزلة ومن نحا نحوهم القائل بأنّ إعجاز القرآن الكريم إنّما سببه هو الله تعالى لأنّه صَرَفَ النّاس عن محاكاته والإتيان بمثله، وهم قادرون على ذلك لو لم يُصرفوا، وقد احتجّ على بطلان هذا الرّأي بأنّه لو كانت المحاكاة ممكنة ما كان هناك أيُّ معنى للإعجاز في حدّ ذاته.

رابعا: وجوه الإعجاز عند الباقلاني

ذكر الباقلاني في كتابه (إعجاز القرآن) وجوه الإعجاز، وهي ثلاثة كالآتي:

- ✓ تضمن القرآن الإخبار عن الغيب.
- ✓ أخبر القرآن بقصص السابقين.
- ✓ بديع نظم القرآن وعجيب تأليفه.

1- الإخبار بالغيب: تضمن القرآن الكريم أخبارًا عن المستقبل لا قِبَل للبشر بعلمها، والآيات في ذلك كثيرة، منها[3]:

- قوله تعالى: ﴿سيهزم الجمع ويولّون الدّبر﴾ (القمر، 54). وفي الآية تبشير للمسلمين بأنهم سينتصرون على المشركين في غزوة بدر، وهذا من علم الغيب

- قوله تعالى: ﴿ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾ (الروم، 1-4) فقد أخبر الله سبحانه رسوله بأن الروم سَيَغْلبون الفرس مستقبلا.

- قوله تعالى: ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحقّ لتدخلنّ المسجد الحرام إن شاء الله ءامنين محلّقين رؤوسكم ومقصّرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا﴾ (الفتح، 27). وفيه إخبار للرسول صلى الله عليه وسلم بأنه سيدخل مكة معتمرا هو والمسلمون.

---

[1] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج4، ص270.

[2] أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط3، د ت، ص30.

[3] المصدر نفسه، ص33، 48.

2- الإخبار بقصص الأمم السّابقة:

وقصص هؤلاء معروفة ومبثوثة في القرآن الكريم كقصص الأنبياء مع أقوامهم، ومنها قصة صالح مع ثمود، وقصة هود مع عاد، وموسى مع بني إسرائيل وغيرها، وكذلك قصص أخرى كقصة بلقيس وسدّ مأرب، وقصة ذي القرنين وسدّ يأجوج ومأجوج ...إلخ. ويذكّر الله سبحانه نبيه محمد بأنه ما كان ليعلم هذه القصص لولا أن الله سبحانه أخبره بذلك، لقوله تعالى: ﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشّاهدين﴾ (القصص، 44)[1].

3- بديع نظم القرآن وعجيب تأليفه:

اهتم الباقلاني بهذا الوجه الثّالث والأخير من وجوه الإعجاز القرآني، وأعطاه الحظّ الأوفر من الشّرح الدّقيق الملمّ بجميع جوانبه، فتحدّث عن جمال نظم القرآن حديثا مسهبا، يتّضح منه مفهومه ونظريته في إعجاز القرآن الكريم، فوازن فيه بين القرآن الكريم وكلام العرب، لأنّ العرب قد شعروا في أنفسهم بما في القرآن الكريم من سموّ عن قول البشر، فنسبوه إلى السّحر، فكأنّهم يقولون إنّ القرآن لا يستطيع أن يقوله إلا من أوتي قوّة خارقة، وليست من جنس قوى البشر[2].

فنفى الباقلاني عن لغة القرآن الكريم ما ألصِق بها؛ حيث نفى أن يكون في القرآن شعر، أو أن يكون فيه سجع، وبيّن سرّ الإعجاز ووجوه بيانه؛ إذ يقول عن القرآن: "إنّه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلامهم، ومُبَايِن لأساليب خطابهم"[3]. ثم استنبط عشرة معانٍ تتصل بلغة القرآن، نورد بعضها مُلخّصًا في الآتي[4]:

- لغة القرآن بوجه عام خارجة عن المعهود من نظام جميع كلام العرب، وله أسلوب يختص به.

- ليس للعرب كلام مشتمل على هذا المستوى من الفصاحة والبلاغة، وهو مستوى يعمّ القرآن برمته، ليس فيه جزء فصيح، وآخر غير فصيح، فأما فصاحة العرب فأشعار من هنا وسجعات من هناك.

- نظْم القرآن عجيب لا يتفاوت ولا يتباين بخلاف فصاحة العرب، فقد يكون الشاعر مُجيدًا في المدح دون الهجاء، وقد يكون بارعًا في معنًى قاصرا عن غيره.

- ألفاظ القرآن مختارة منتقاة، ومعانيه جديدة مبتكرة، واختيار اللفظ، عند أهل اللغة، للمعنى المتداول المألوف أسهل وأقرب من تخيّر الألفاظ لمعانٍ مبتكرة، فإذا برع اللفظ في المعنى البارع كان ألطف وأعجب من أن يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المتكرّر.

---

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص34، 49.

[2] أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر، القاهرة، 2005، ص47.

[3] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص 50.

[4] المصدر نفسه، ص35 وما بعدها.

– ألفاظ القرآن مثيرة للانتباه تتجمّل بها الأساليب، وتتوشح بها الخُطب، وقد أدرك ذلك أهل اللغة والفصاحة، فعلموا علم اليقين أن لا قِبَل لهم بأن يأتوا بمثله ولو حاولوا وادعوا.

– بعض السور في القرآن افتتحت بأحرف مقطعة (الم، حم، المر، الر...) وفي ذلك دلالة إعجازية، وهو أنّ القرآن مشكَّلٌ من الحروف نفسها التي يستعملها العرب في كلامهم وأدبهم، ومع ذلك لا يستطيعون أن يأتوا بمثله

– لغة القرآن سهلة، فليس فيها الوحشي المستكره، ولا الغريب المستنكر، ولا المتصنّعُ المتكلّفُ، وهو مع ذلك ممتنع المطلب، عسير المتناول، غير مُطمعٍ مع قربه في نفسه، ولا موهِم مع دنوّه في موقعه أن يقدر عليه أو يُظفر به[1].

[1] الباقلاني، إعجاز القرآن، ص35 وما بعدها.

المحاضرة الثامنة

إعجاز القرآن عند الجرجاني

عناصر المحاضرة:

أولا: التعريف بالجرجاني، ثانيا: وجوه الإعجاز عند الجرجاني.

يعتبر إعجاز القرآن وتحديهم للعرب بالأصالة ولغيرهم بالتبع في مجال البلاغة والبيان، من القضايا التي تبارى فيها العلماء، كل يريد فضل السبق، واستخراج درر القرآن وكنوزه، والوقوف عند وجوه إعجازه، ومن العلماء الأوائل الذين كتبوا في هذا المجال الإمام الباقلاني كما رأينا في المحاضرة السابقة، وكذلك الشيخ عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز. فمن هو الجرجاني؟ وما وجوه الإعجاز عنده؟

أولا: التعريف بالجرجاني

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني؛ ويلقب بشيخ العربية، ولم تعرف سنة ولادته؛ ويمكن تحديد فترة حياته؛ اعتمادا على سنة وفاته؛ فقد عاش في مطلع القرن الخامس الهجري؛ أما نسبته لجرجان فهي مكان ولادته؛ وهي معروفة بالعلماء والأدباء. له مكانة علمية مرموقة، ولا أدل على ذلك من ثناء العلماء عليه، ومن ذلك: تلقيبه بالإمام؛ "وهو من كبار أئمة العربية". قال عنه السبكي: "وصار الإمام المشهور المقصود من جميع الجهات؛ مع الدين المتين؛ والورع والسكون"[1]. له مصنفات كثيرة في اللغة؛ والبلاغة؛ والنحو؛ والتفسير؛ منها: كتاب المغني شرح المبسوط في نحو ثلاثين مجلدا، دلائل الإعجاز، تفسير سورة الفاتحة في مجلد، المقتصد تلخيص المغني. توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة وقيل: سنة أربع وسبعين وأربعمائة.

ثانيا: وجوه الإعجاز عند الجرجاني

لعل الفرق بين الباقلاني والجرجاني في بسطهما لإعجاز القرآن، هو أن الباقلاني اعتمد الأدلة العقلية والمنطقية في إثبات الإعجاز محاولاً الإجابة عن السؤال: لماذا أعجز القرآنُ العرب على أن يأتوا بمثله أو جزء منه؟ وكان كتابه الإعجاز هو الإجابة عن هذا السؤال.

أما الجرجاني فطرق جانبا آخر في إعجاز القرآن، هو جانب (الذّوق)، وما تقتضيه الفصاحة والبلاغة، ووضع لذلك شروطا ومتطلبات ظهرت في نظريته الشهيرة (نظرية النظم). ولسنا هنا بصدد تفصيل القول في هذه النظرية، ولكننا نذكر نُتَفًا من ملامح إعجاز القرآن كما شرحها الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز).

حاول عبد القاهر الجرجاني أن يكتشف سر عجز العرب عن محاكاة القرآن، هذا السّرّ يتعلق بالعرب أنفسهم، أهلِ هذه اللغة، المتذوقين لها، الذين لهم القدرة على التمييز بين جميل القول ورديئه، أو بين فصيحه

[1] المرجع

ومسترذله، وهو الذي جعلهم يعترفون بأن القرآن فصيح جميل، عبّر عن ذلك خبيرهم بلغة العرب، الوليد بن المغيرة عندما قال يصف القرآن: "وَاللَّه إِنَّ لَه لحَلَاوَة، وَإِنَّ عَلَيْه لَطَلَاوَة، وَإِنَّ أَصْلَهُ لَمُورِقٌ، وَأَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ، وَمَا هُوَ بِقَوْلِ بَشَر"[1].

وقد ذكر الجرجاني لجمال الأسلوب القرآني صفاتٍ وخصائص، نذكر منها:

1- حسن اختيار اللفظ:

لعل شدة عناية عبد القاهر بمسألة النظم جعل البعض يتهمه بأنه أهمل اختيار اللفظ أو أهمل اختيار أدوات اللغة عموما من أسماء وأفعال وحروف، والحقيقة أن الأمرين لا ينفصلان، فهناك حسن اختيارٍ يليه نجاحٌ في وضع ما اختيرَ الموضع الحسن. حيث يردّ الجرجاني على الذين يرون أن البلاغة إنما تصدر عن العلم باللغة، بقوله: "واعلمْ أَنَّا لم نُوجِبْ المزيَّةَ من أجلِ العِلْم بأنفُسِ الفروقِ والوجوهِ فنستند إلى اللغة، ولكنَّا أوجبْناها للعلم بمواضِعها، وما ينبغي أن يصنع فيها، فليس الفضْلُ للعلم بأنَّ "الواو" للجمع، و"الفاء" للتعقيب بغير تَراخٍ، و"ثم" له بشرطِ التّراخي، و"إنْ" لكذا و"إذا" لكذا، ولكنْ لأَنْ يتأتَّى لكَ إذا نظَمْتَ شعراً وألَّفْتَ رسالةً أنْ تُحْسِنَ التخيُّرَ، وأن تَعْرِفَ لكلٍّ مِنْ ذلك مَوضِعَه[2].

2- حسن اختيار المعنى:

اللفظ مرتبط بالمعنى واختيار اللفظ يعني اختيار المعنى، ولا يمكن تصوّر الفصاحة في لفظ دون معناه، وهذا ركن من أركان الإعجاز عند عبد القاهر، حيث يقول في أهمية المعنى: "... اللفظ تبع للمعنى في النظْم، وأنَّ الكلمَ تَترتّب في النُّطقِ بسببِ تَرتُّبِ معانيها في النَّفس، وأنها لَوْ خَلَتْ من مَعانيها حتى تَتجرَّد أصواتاً وأصداءَ حروفٍ، لِما وقعَ في ضميرٍ ولا هَجَس في خاطرٍ، أن يَجب فيها ترتيبٌ ونَظْم، وأن يُجْعَل لها أمكنةٌ ومنازِلُ، وأنْ يجبَ النّطقُ بهذه قَبْل النطقِ بتلك"[3].

3- حسن الملاءمة بين اللفظ والمعنى:

هذه هي الخاصّيّة التي نادى بها عبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز)، عندما رأى أن البلاغة والفصاحة ليست في أن تحسن اختيار اللفظ فقط، وإنّما أن تحسن استخدامه ووضعه في الموضع المناسب من السياق، فرُبّ لفظة تكون جميلة مستحسنة في موضع، هي نفسها تكون مسترذلة في موضع آخر، وفي ذلك يقول: "فقد اتَّضحَ إذن اتّضاحًا لا يَدَعُ لِلشكِّ مجالاً، أنَّ الألفاظَ لا تتفاضَلُ من حيث هي ألفاظٌ مجرَّدة، ولا من

---

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص165.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط3، 1992، ص249، 250.

[3] المصدر نفسه، ص56.

حيثُ هي كلمٌ مفردةٌ، وأن الفضيلة وخلافها، في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبهَ ذلك، ممّا لا تَعلُّقَ له بصريحِ اللفظ ... وممّا يَشهد لذلك أَنَّك تَرى الكلمةَ تروقُك وتُؤنسك في موضعٍ، ثم تَراها بعينِها تَثْقُلُ عليكَ وتُوحِشُك في موضعٍ آخرَ"[1].

وهذه بعض وجوه الإعجاز التي أثبتها الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) وأمثلتها من القرآن مبثوثة في الكتاب المذكور، يمكن الرجوع إليها.

[1] المصدر نفسه، ص46.